أحمـــــــــــــــــــــــــد الشارف حياته ووطنيته
قصيدة (حيواني وطني) أنموذجاً

*الأستاذ: على سالم عاشور

مدخـــــــــــــل:

تعتبر الحركة الثقافية والأدبية في ليبيا، من بين أولى الحركات التي أنجبت الكبار في مجال الشعر العربي الأصيل ، حيث أنجبت الصحراء والبادية الليبية فحولاً تفيض قصائدهم شاعرية ومعالجة للمواضيع التي تمس البلاد وتناقش حال وتصرفات العباد في شتى المناسبات السياسية والاجتماعية والدينية والقومية . ولأننا في أمس الحاجة هذه الأيام لمن ينمي فينا حب بلادنا الحبيبة ليبيا ، ويصقل فينا كرهنا الشديد للفرقة والفتن بين أبناء الوطن الواحد، وعند بحثنا الدقيق في تاريخ الأدب الليبي بشكل عام ، وتاريخ الشعراء الليبيين على وجه الخصوص ، نجد أن هناك اسماً بارزاً يظهر في أعلى قائمة الشعراء في عصره ، بل وفي جميع العصور، وهو الشيخ الشاعر (أحمدالشارف) ذلك المسلم المتدين، والشيخ الفقيه، والشاعر الفحل، والعالم الجليل، والقاضي العادل، والإنسان الوفي ، والصديق المخلص، والعاشق الولهان ، والوطني الغيور....

و سنتناول في هذا البحث حياته ووطنيته بشيء من التفصيل، لان لهذه الشخصية الجليلة قصائد كثيرة في مختلف بحور الشعر، وقد تّم تقسيم هذا البحث إلى أربعة أقسام : القسم الأول يتناول نسبه و نشأته، أمّا القسم الثاني فيتناول وطنية الشارف، وفي القسم الثالث التعليق العام ، والقسم الرابع الخاتمة والتوصيات.

أولاً: نسبه ونشأته:

هو الشاعر و الشيخ و الفقيه و الأديب أحمد بن علي بن مسعود الشارف، الابن الوحيد لأبيه، وهو من قبيلة أولاد يحي من العمائم، وهذه الأخيرة هي إحدى شعوب آل سالم بن هيب بن رابع بن ذباب من بني سليم من شبه الجزيرة العربية (1)، ولقد اختلفت المصادر والمراجع التي تناولت حياة الشارف في تحديد تاريخ مولده بدقة، رغم اتفاقها على مكان مولده بمدينة

* كلية الآداب والعلوم بزليتن - جامعة المرقب- قسم الإعلام

زليتن، فهناك بعض المصادر حدّدت مولده سنة 1864م (2) ، ومصادر أخرى حدّدته في سنة 1872م(3)، إلا أن الشاعر نفسه لا يذكر تاريخ مولده بالتحديد، فعندما سؤل سنة 1955 م عن عمره، أجاب قائلاً:

ماَ يُرِيدُ مِنْ ظُرُوفِ الأَزْمِنَه مَنْ عُمْــرُهُ فَوْقَ الثَّمَانِينَ سَنَـــه(4)

ومع هذا الاختلاف في تحديد سنة مولده بدقة، فإني أرى أن شاعرنا عـــــــاش عمراً يزيد عن خمس وثمانين سنة.

وقد نشأ وتربى في أسرة كريمة في منطقة (القصبة) بسوق الجمعة جنوب غرب زليتن المدينة، درس في صغره القرآن الكريم بزاوية (علي الفر جاني) بساحل الأحامد في منطقة سوق الخميس بين مدينتي الخمس و زليتن، ثُمَّ انتقل إلى زاوية (عبدالقادر الجيلاني) ، وأكمل دراسته في زاوية (عبد السلام الأسمر الفيتوري) وحفظ بها القرآن الكريم ، ودرس الفقه الإسلامي دراسة عميقة بزاوية (الفطيسي) بزليتن ، كما أنه التحق بعدة زاويا في مدينة زليتن منها: زاوية الأغا، والمدني ، والقصبة، وذلك لتلقي منها مزيداً من العلم ، وتتلمذ على يد كبار الفقهاء في ليبيا آنذاك، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ (كامل بن مصطفى) الذي كان يسمى بالأزهر الصغير لغزارة علمه وفضله، وألتحق بعدئذ بكلية أحمد باشا حتى أصبحت لديه أحكام دقيقة في مسائل الفقه الإسلامي في المذهب المالكي تحديداً، (5) وتزوج شاعرنا مرتين وأنجب ولداً وبنتين(6)، المرة الأولى من ابنة عمه(سليمة بنت محمد التومي) ، وكان عمره يوم تزوجها دون سن العشرين ، أمَّا زواجه الثاني فقد كان من (عافية بنت محمد المصراتي) عندما كان قاضياً بتاورغاء سنة 1900م.(7)

ثم انتقل إلى مدينة (مسلاتة) ليكون خطيباً ومدرساً للقرآن الكريم بمسجد بني مسلم ، وفي أواخر سنة 1906م اجتاز امتحاناً بمدينة(الخمس) ليعين نائباً للقاضي الشرعي بها ، وعين قاضياً (بتاورغاء) بعد أن اجتاز امتحاناً أخر، ومن ثَمَّ إلى منطقة (القربوللي)، وفي سنة 1919 م عين قاضياً بسرت ،ثم إلى (غريان) ليشتغل بوظيفة باشاكاتب لمفتيها، حتى أصبح قاضياً بها بمعونة المجلس الاستشاري، وفي سنة 1922 م أنشأت المحكمة الشرعية العليا في ليبيا، فعين عضواً بها لمدة تزيد عن عشرين سنة، وبفضل علمه وخبرته ودرايته بالقضاء الشرعي عين سنة 1943م، رئيساً للمحكمة العليا في ليبيا(8)، وبقي بها حتى أحيل إلى التقاعد في منتصف سنة 1953 م(9)، وبعد هذا التاريخ بست سنوات وتحديداً يوم الثلاثاء الموافق **11/8/ 1959م،** كف قلب الشيخ الشاعر عن الخفقان ، وكان ذلك بمدينة

طرابلس، بعد أن عاش سنواته الأخيرة كفيفاً، إلا أن أعماله مازالت وستبقى خالدة بعيون تراقب البلاد وحال العباد ، باعتباره اكبر الشعراء الذين ساهموا بقسط وافر في الحركة الأدبية والثقافية في ليبيا منذ أن كان يافعاً، وحتى أخر يوم من حياته.

أحمد ... هذا هو الاسم الذي سماه إياه أبوه المزارع ، أما الألقاب التي أطلقت عليه من قبل قومه - بفضل مكانته الاجتماعية المرموقة وأخلاقه الرفيعة - ومحبوه من أهل الشعر والأدب بحكم ملكته وفحولته الشعرية ... فقد أطلقوا عليه لقب (شيخ الشعراء) ،و شاعر القطرين :طرابلس- برقة ، و(شاعر ليبيا الأكبر)، و(شاعر القضايا الكبرى)(10)، وكانت كل هذه التسميات والنعوت عن جدارة واستحقاق ، وها أنا شخص أخر أستسمحه عذراً لكي أطلق عليه لقباً إضافياً وهو **"شاعر كل الأحداث"** ،لأن حياته عاصرت كل الأحداث التي عاشتها ليبيا والوطن العربي ككل، والتي كانت حالكة السواد من ظلم وبشاعة وتخلف واستعباد ، فقد ولد شاعرنا فوجد الاحتلال العثماني جاثماً على هذه الأرض ، وما أن وصل سن الثلاثين حتى عاصر الاستعمار الإيطالي ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فالثانية لتنتهي هذه الأخيرة، بالانتداب البريطاني والفرنسي على ليبيا، وجاءت مرحلة الاستقلال في بداية خمسينيات القرن الماضي،(11) بالإضافة إلى ذلك أنَّ لأحمد الشارف قصائد تتابع الإنسان في كل الأحداث والأزمنة حتى المستقبلية منها، كل هذه العصور التي عاش فيها صاحبتها ظروف تختلف وتتباين كل منها عن سابقتها، لهذا فإن لكل حدث حديث عند الشارف ،كما أن لها وقعاً كبير في نفسه وشخصيته وشعره .

كان يرتجل الشعر أحياناً، لكن أشعار الارتجال ضاعت إلا بضع أبياتٍ كانت قد حفظها محبوه في المناسبات، وقد نظم الشيخ الشارف الشعر في أبواب مختلفة، فله قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حب الوطن والعروبة و الحماسة، وله روائع في الغزل والتشبيب، وله درر في الهجاء والرثاء والعتاب والفخر والذم، وفي الشعر القصصي أيضاً، كذلك التصوف الذي كان حاضراً في شعره ، وكانت له مجالس علمية وأدبية مع رجالات عصره ، وله أيضاً مراسلات عدة مع أصدقائه من شعراء العرب في كل من: مصر وتونس والشام والعراق (12)، على الرغم من الحظر والتضييق الذي كان مفروضاً على الليبيين من قبل الاستعمار الايطالي لقطع اتصالاتهم بإخوانهم العرب في الشرق والغرب، كما أن له قصائد في النصح والإرشاد، وله بعض القصائد التي قام بتشطيرها، حيث اشترك فيها مع

شعراء عصره ومدرسيه، ولم يغفل شاعرنا عن الحكم والأمثال في شعره ، وتقريظ بعضاً من القصائد ،و له خطب وكتابات نثرية لم تجمع ويصعب تحديدها(13) .

وقد نشر قصائده منذ عام1908م، في عدد من الجرائد والمجلات الليبية، التي كانت تصدر ذلك الوقت منها: الترقي ، والعصر الجديد ، والمرصاد ، واللواء الطرابلسي ، والرقيب العتيد ، وليبيا المصورة، وطرابلس الغرب ، وجريدة الرقيب. (14).

كان فناناً ضليعاً يجيد استخدام الكلمات والعبارات في وشعره ونثره، كان يكتب الأبيات أو القصيدة، ثم يزيد ، ويحذف، وينقح ويضيف ويشطب ، حتى تَئِنْ ورقته بما حملت من هوامش وتشطيبات.

وقد كان شعره من النوع الكلاسيكي المحافظ على الوزن والقافية وسلامة اللغة العربية ،لم يغضب سيبويه أبداً، حتى أنه بعد أن يكمل قصيدته يطلب من صاحبه أن يلقيها على مسامعه، والويل كل الويل إذا أخطأ بحركة، أو أهمل نبرة، أو مَدَّ في مواطن الإدغام، أو غيَّر في حركة بناء أو إعراب، وفي نفس الوقت كان يطرب لسماع قصيدته إذا قرئت على نسق صحيح وبأسلوب سليم(15) ،هذا لا يعني أنه لا ينظم الشعر الشعبي الليبي بين أهله وأصدقائه وأبناء عمومته وجيرانه، فلابد أَنَّ له قصائد من هذا النوع من الشعر خاصة أنَّ أبناء قبيلته يجيدون نظم القصائد الشعبية التي كانت تقال في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ولكن شاعرنا الشيخ كان يخاف على اللغة العربية من الضياع، خاصة إبان الاستعمار الايطالي الذي كان يحاربها ،لهذا كان "الشارف" على رأس المثقفين الليبيين الذين حاربوا الايطاليين لأكثر من ربع قرن ، ومثلما أعطتنا ساحات معارك السيف والبندقية مقاتلين ومجاهدين أشداء ، أعطتنا في نفس الوقت المعارك الثقافية شعراء أكفاء، فقد كانت قصائده الوطنية الحماسية من بين أقوى الأسلحة التي كانت تستخدم في حماية الوطن من بسط نفوذ المستعمر عليه، حتى انه سجن أكثر من مرة نتيجة لقصائده التي كانت تحرض الناس على مكافحة الاستعمار ، وتحثهم على الجهاد بكل الطرق والوسائل، ويقال أن أول نشيد وطني في ليبيا تغنى به المجاهدون هو قصيدته التي كان قد نظمها أيام الجهاد والمعارك ضد المستعمر الايطالي البغيض، والتي يبدأها بقوله (رضينا بحتف النفوس رضينا) (16)، كما يقال أيضاً أن هذه القصيدة اختيرت من بين الأناشيد التي سيختار منها النشيد الوطني الليبي في بداية الجمهورية العربية الليبية، ويشير الأستاذ الكبير (علي مصطفى

المصراتي) إلى أن شيخ الشعراء قد نظم أكثر من 200 قصيدة في شتى صنوف الشعر ، ناهيك عن القصائد التي ضاعت بين حنايا الزمن(17).

والقارئ لشعر "الشارف" يجد في شعره روعة التجديد، وروح الزمن القديم، فقد تأثر شاعرنا بشعر "المتنبي" لأنه كما يقول يحمل الأصالة والجرأة والطموح (18)، و بلاغة كتابات الجاحظ ، وفصاحة أبي فرج الأصفهاني ، والزمخشري ، والجرجاني ، و الأخضري ..... وغيرهم من عمالقة وفقهاء اللغة العربية الذين كانوا قد أثروا في ثقافة "احمد الشارف" اللغوية والمعرفية، فقد كان واسع الاطلاع والمطالعة ، ليس اطلاع ومطالعة يبتغي منها تسلية ومضيعة للوقت، بل كان اطلاع ناقد متفحص يبتغي منها نهل العلم من مناهله الأصيلة، ونتيجة لمعرفته ودراسته بفنون الفقه الإسلامي والأدب العربي ، لاسيما وأنَّه يحفظ القران الكريم، ويحفظ كماً لا بأس به من قصائد العرب الأوائل، والتي أعجب بها أَيَّمَا إعجاب وتأثر بها ، كالمعلقات السبع ، وشعراء الأندلس (كابن زيدون)..... وغيره الكثير (19)،لهذا كان يمتلك ثروة لغوية ضخمة من المصطلحات، فتراه في بعض قصائده يستخدم بعض الكلمات لينقش منها ما يريد، خدمة لموهبته الشعرية وموضوعاتها الحية، فتجده يزاوج بين تعبير وتعبير، ويقابل الكلمة بكلمة تحمل معنى قريب من الأولى(20) ،كقوله:

أَمَا آنَ لِلْعُذَّالِ أَنْ يَقْبَلُوا عُذْرِي وَقَدْ عَلِمُوا يَا صَاحَ أَنَّ الْهَوَى عُذْرِي

وقوله:

يَا سَعَدْ قُمْ حَيِّنَا بِنَفْحَةٍ مِنْ حَيّنَا

وهكذا فهو يقوم بترجمة إحساسه مستخدماً خياله وبلاغته لِيُكوِّنَ بها صورته الشعرية المعبرة، وديوانه الذي جمعه له الأستاذ "المصراتي" خير دليل على ذلك .

ثانياً : وطنية الشارف:

لقد قام شاعر ليبيا الأكبر بنظم قصائد عدة ، في شتى البحور والمجالات والمناسبات ، وقد اختار الباحث وطنية الشارف لتكون المحور الرئيس للبحث ، لأهمية هذا الجانب للوطن والمواطن ، إذ أن قصائده الوطنية أو كما يسميها البعض (بالوطنيات) ، لها تأثير كبير على الرأي العام الليبي والعربي أيضاً ، وذلك بما تحمل معانيها من غيرة وحب للوطن والمواطن، فقد كان الوطن يئن تحث وطأة استعمار استيطاني بشع، وكان التخلف والمرض والأمية والإحساس بالقهر والتمزق وفقدان الحرية يتغلغل في النفوس، ويؤدي إلى انكسارها وضياعها، ليس "الشارف" من هؤلاء الذين انحازوا إلى بلدانهم، فلم يقتصر شعره

على القضية الليبية فحسب ، بل كان مهموماً بما يجرى على الساحة العربية ككل ، فقد نظم الشعر في قضايا عربية مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر كل من:قضايا فلسطين ، ومصر والمغرب ، والجزائر ، ....وغيرها من البطولات العربية .

كان الشاعر "أحمد الشارف" مواطناً عربياً يحب عروبته ويفخر ويفاخر بها . وقصائده التي تدل على ذلك كثيرة ، فتراه يقول في قصيدته المشهورة (**حيوا بني وطني**):

حَيُّوا بَنِي وَطَنِي مِنْ أُمَّةِ الْعَـــرَبِ ... تَمَثَّلَتْ فِيهِمُو رُوحـــاً مِنَ الأَدَبِ
دَعَاهُمُــو الْوَطَنُ الْغَالِي وَمَا بَخِلُوا ... وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ يُدْعَى وَلَمْ يَجِبِ
وَاسْتَخْرَجُوا أَدَوَاتُ الْبَحْثِ بَيْنَهُمُوا ... وَاسْتَنْهَضُوا الْهِمَمَ الْعَلْيَاءَ عَنْ كَثَبِ
يَحْمُونَ بِالسَّيْفِ مَا قَالُوا وَمَا كَتَبُوا ... وَآيَـــةُ السَّيْفِ تَحْمِي آيَةَ الْكُتُبِ
بَـــوَادِرُ الْيَأْسِ قَدْ زَالَتْ بِبَيْعَتِهِمْ ... كَمَا يَزُولُ ظَلاَمُ اللَّيْلِ بِالشُّهُـــبِ

وشيخ الشعراء هنا يحيِّي شعبه العربي الذي ضحى بالأنفس عندما دعاه الوطن للدفاع عنه وعن حرية وكرامة المواطن ، دون أن يبخل عليه بشيء ، لأنَّ البخل ليس بالمال فحسب ، بل البخل أيضاً من يدعى إلى الدفاع عن الوطن فلا يجيب ، وهو أشر أنواع البخل في نظري، وها هو يصف شعبه الذي لم يبخل أبداً على حماية وطنه، عندما يستنهضون الهمم ويستخرجون أسلحتهم استعداداً للعمل الفدائي ، فقد جمعوا بين القوة المعنوية والقوة العسكرية، عندها زالت مظاهر العجز واليأس، و أصروا على خوض معارك الشرف والكرامة ، مشبهاً زوال اليأس بزوال ظلام الليل بنور الشهب في السماء .

ويقول أيضاً:

وَالشَّرْقُ يَهْتِفُ بِالذِّكْرَى لِجَامِعَةِ ... فِي مِصْرَ، فِي أُمَّةُ الإِسْلاَمِ ، فِي الْعَرَبِ
طَرِيقَةُ الشِعْرِ فِيهِمْ غَيْرَ دَارِسَةٍ ... لَهُـــــمْ (رفيق) بِهَا خَالٍ مِنَ الرِّيَبِ

مَا إِنْ رَأُوا لِبَنِي صَحْرَائِهَا وَجِلاً ... يَوْمَ الْكِفَـــــــاحِ وَلاَ ذُلاً لِمُغْتَرِبِ

لِيُوثُ غَابٍ إِذَا مَا ضُيُقُوا وَثَبُـــوا ... وَأَيْ لَيْثٍ لِدَفْعِ الضِّيقِ لَـــــمْ يَثِبِ
لَهُمْ نُفُوسٌ إِذَا حَرَكْتَهَا اضْطَرَمَتْ ... بَعْدَ السُّكُونُ اضْطِرَامُ الْمَاءِ فِي اللَّهَبِ

وفي هذه الأبيات يبدأ الشاعر برسم الإطار للأمة العربية، وذلك عن طريق احتفال العرب والمسلمين بذكرى تأسيس رمز التجمع العربي (الجامعة العربية) في مصر ملتقى العرب في جامعتهم ، والمسلمين في أزهرهم.

ثم يأخذ الشاعر في إبراز معالم الوحدة العربية وخصائص الإنسان العربي ، فالشعر عمل فني يجمعهم ويعتزون به ، ويشعرون بالوفاء لهذا الإرث العربي الأصيل الخالد على مدى العصور، وبين آونة وأخرى تنجب هذه الأمة شاعر يؤكد الرابطة ويدعم الوحدة الفنية واللغوية بين أبناء الوطن العربي، فيذكر صديقه في قصيدته كمثال على ذلك، وهو الشاعر (أحمد رفيق المهدوي) المعروف(بشاعر الوطن).

وينطلق "الشارف" في قصيدته الشعرية ، يصف الإنسان العربي بأنه لا يعرف الخوف ولا يرهب في مواقع القتال ، إنما يندفع مكافحاً في سبيل أمته وكرامته، ولا يرضى الذل والعبودية ، ولا يرضى العيش تحت محتل غازٍ ، فيشبه المواطن العربي بالأسد إذا شعر بخطر اندفع واثباً لرده .

ونفوس الأمة العربية قلقة ومضطرمة دائماً ، وقلقها واضطرامها هذا إنما هو في سبيل حريتها وكرامتها وتاريخها.

ويقول مفاخراً بأبناء شعبه العربي الليبي :

لاَ غُرُو أَنْ يُدْعَى اللّيبُي أَنَّ لَهُ	مَا لِلْعُرُوبَةَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ حَسَبِ
لّدَيْهِ مِنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ مُعْجِزَةً	تَلُوحُ كَالدُّرِ وَالْيَاقُوتِ وَالّذهَبِ
تَخَالَهُ فِي ارْتِيَاحٍ مِنْ تَجَلُّدِهِ	بِالرُغْمِ عَمَّا بِهِ مِنْ شِدَّةِ التّعَبِ
عَزْمٌ لَدَيْهِ وَإِيْمَانٌ وَتَضْحِيَةٌ	يَوْمَ الْلِقَاءُ بِلَا خَــوْفٍ وَلاَ رَهِبِ

هنا يؤكد الشاعر عروبة الشعب الليبي ، وإعتزازه بالإسلام ديناً ، فعنده العروبة والإسلام معدنين غاليين للاعتزاز، فالإسلام يلتقي مع الشعوب العربية كلها في مجدها الزاخر بالبطولات والانتصارات، والحضارة التي أشرقت على الدنيا زهاء ستة قرون نعمت في ظلها الإنسانية ، وتفتُّح العقل على ينابيعه الغزيرة ، معتزاً باللغة العربية ، اللغة التي اصطفاها الله بأن تكون لغةً لأخر كتبه السماوية ، وهو القرآن الكريم ، مشبهاً هذه اللغة بأغلى المعادن كالذهب والياقوت، ويصف صبر وتحمل شعبه في أشد أوقات المحن

والشدائد ، فقوة الشعب وتحمله ، وصبره ومصابرته يوم اللقاء منقطعة النظير ، فهو شعب لا يعرف الخوف طريقاً إلى قلبه ، لا من قريب ولا من بعيد.

ويستمر مخاطباً أبناء شعبه قائلاً :

وَالجُبْنُ عَارٌ وَمِنْ أَجْلَى مَظَاهِرِهِ ... حُـــبُّ التَّزَلُّفُ وَالتَّمْوِيهِ وَالْكَذِبِ
وَمِنْ تَمَشَّتْ عَلَى الأَوْهَامِ خُطَتَهُ ... لاَ غُرُوَ إِنْ أَخْطَأَ الْمَرْمَى وَلَمْ يَصِبِ
وَطَالِبُ الْمَجْدُ لَمْ يَجْنَحْ لَهُ طَلَبُ ... إِلاَّ عَلَى الصِّدقِ وَالإِخْلَاصِ فِي الطَّلَبِ
وَنَهْضَةُ الشَّعْـــبُ أَمْرٌ لاَ يُنَفِذَهُ ... إِلاَّ التَّعَاضُـــــدِ مِنْ أَبْنَائِهِ النُّجُبِ
وَقُوَّةُ الصِّدْقِ فِي أَعْمَالِنَا سَبَبٌ ... لِلنَّصْرِ وَ الشَّيءُ يُقَوِي قُوَّةُالسَّبَبِ

وفي هذه الأبيات يلاحظ أنَّ للشاعر قوة شعرية متميزة، يستطيع من خلالها الربط بين القضية الوطنية والقضية الأخلاقية والاجتماعية ، إذ أنه يطالب أبناء شعبه بالاستمرار في قتال الطغاة، وفي نفس الوقت يحثهم على الابتعاد عن الجبن والكذب والتملق والتزلف والتمويه..... وغيرها من الدنايا، فالمناضل لابُّد له أن يكون شريفاً شامخ الرأس ، بعيدًا عن كل ما يشوه الإنسان ، متحلياً بكل صفات الرجولة .

ثالثاً: التعليق العام:

لا تخلوا هذه القصيدة –كبقية قصائد شاعر القطرين - من النصائح والإرشادات والحكم أيضاً، التي يقدمها إلى أبناء شعبه ووطنه، فتراه يختمها بحث شعبه على التعاون والتكاتف والتوحد والتعالي على الخلافات الشخصية والقبلية والاجتماعية ، معتبراً هذا التعاون والتوحد الطريق والمنهج السليم لتنفيذ إرادة ونهضة الشعب، ومن أسباب نصره ، لأنَّ الشيء يقوى ويعظم بعظمة السبب الدافع له، وقوة ذلك السبب، على حد تعبيره.

وبشكل عام، نجد أن الشاعر قد نظم قصيدته على النمط التقليدي –كعادته- فهو يكره الشعر الذي لا يلتزم بالوزن والقافية ، فتراه هنا محافظاً عليهما أشَّد الحفاظ ، كما أنَّه قام بتقديم قصيدته في جو عربي إسلامي دل على غيرته وحبه للدين والوطن ، ولا يفوت على شاعرنا أن يُكوِّن ديباجته الشعرية من مناهل التراث العربي والإسلامي الأصيل ، وكيف لا وهو خير دارسٍ لتلك المناهل ، فنراه يعتز بكلمات عدة استخدمها الرعيل الأول من شعراء العرب والمسلمين ،ككلمة السيف ، وآية الكتب، والهمم العلياء ، والليوث، والمجد ، والحسب ،.....وغيرها من المصطلحات والكلمات التي كان يجيد استخدامها في

قصائده ،لاسيما وهو يتناول في قصيدته موضوعاً في حب الوطن ويتغنى بعروبته وأصالته ودينه .

ومن ناحية أخرى نجد "الشارف" في صوره البلاغية يكثر من التشبيهات غير المباشرة ، مثل زوال اليأس بالبيعة كما يزول ظلام الليل ، وأيضاً في قوله "ليوث غابٍ" فقد شبه القوم بالليوث في قوتهم وشجاعتهم وسرعة رد البلاء عنهم.

كما أنَّه كان حريصاً كل الحرص على أن تكون أبيات قصيدته ذات قافية واحدة ، تحمل النغمة الموسيقية التي تطرب كل من يسمعها ، وذلك مثل : عن كثب، آية الكتب ، وفي الحرب ، الياقوت والذهب.....الخ الأبيات.

رابعاً: الخاتمة والتوصيات:

ذلك هو (شاعر كل الأحداث) واعتذر مرة أخرى عن هذه التسمية الجديدة التي فرضتها حياته ومواقفه ، باعتباره أكبر الشعراء الليبيين سناً وشاعريةً وعلماً ، على الأقل في عصره المليء بالأحداث.

ولكن بعد هذه الدراسة البسيطة لتاريخ هذه الشخصية، الحافل بالمواقف والأحداث وتفاعله معها قلباً وقالباً ، يتبادر إلى أذهاننا سؤال: هل أعطينا هذا الشاعر حقه الذي يستحقه ؟ .

وأجيب قائلا : رحم الله شاعرنا وأديبنا وقاضينا ومؤرخنا الكبير الذي ظلمناه ولم نعطه حقه وافياً ، سواءً من حيث الدراسة والبحث ، أو إحياء ذكرى وفاته على الأقل ، أو حتى التعريف به للأجيال الجديدة ، وأقول دون تردد: إنَّه لولا ذلك الجهد الذي قام به الأستاذ الكبير "علي مصطفى المصراتي" وذلك بجمع ما تمكن من جمعه لضاع شعر الشارف ، بل لا أبالغ لو قلت : لضاع الشارف وضاع زمنه الذي أرَّخه ووثقه في أبهى قصائده، وهذا جهد يحسب لأستاذنا المصراتي .

وإنني في نهاية هذه الإضاءة البسيطة لشيخ الشعراء أتقدم بتوصيات بسيطة للجهات المعنية، لكي نعالج تقصيرنا في حق هذه الشخصية الكبيرة، وذلك بأن يكرِّموا هذه الشخصية الليبية والعربية حق التكريم؛ لأنها تستحقه، إذ أنَّه عاش فترات عصيبة على أرضه ليبيا، وأبسط ما علينا فعله نحن المثقفون في هذه البلاد هو تسمية أحد أكبر المدرجات الموجودة في الكليات والمعاهد العليا ، باسم (أحمد الشارف) خاصةً تلك الكليات والمعاهد التي تدرس الأدب والشعر والفقه ، وما أكثرها في بلدنا الحبيبة، خاصةً بعد أن هدمت المدرسة التي

تحمل اسمه بمنطقة (القصبة)بسوق الجمعة بزليتن، إثر قصف طائرات التحالف الدولي في منتصف شهر يوليو سنة 2011م.

كما أوصي بأن يدرس طلاب المرحلة الإعدادية أو الثانوية أو الاثنين معاً بعضاً من قصائده، خاصةً وانّ له قصائد في حب الوطن والعروبة والإسلام .

ولا بأس إن حمل أَكبر شوارع بلاده ليبيا و مدينته زليتن خاصة اسمه ، لاسيما وهي مسقط رأسه ، وفيها بداية تعليمه على يد أَكبر علمائها.

وأخيراً .... رحم الله شاعرنا مرة أخرى ، وأدخله فسيح جناته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هوامش البحث

1. أنظر :عبد الرحمن ابن محمد بن خلدون : (تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، المجلد 2 ، ط1 ، بيروت ، دار ابن حزم، 2003م ، ص2386.
2. أنظر : إبراهيم الطاهر الشريف : (خصائص التركيب في ديوان أحمد الشارف) ، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية (2)، 2000م ، ص 23.
3. أنظر :الطاهر احمد الزاوي : (أعلام ليبيا) ،ط 2، طرابلس ، دار الفرجاني ، 1971م ، ص111 .
4. أنظر :محمد الصادق عفيفي : (الشعر والشعراء في ليبيا) ، ط1، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، 1957م، ص190.
5. أنظر :إبراهيم الطاهر الشريف : مرجع سابق، ص 24.
6. أنظر :محمد التركي التاجوري : (الأسلوب في الشعر والنثر والشارف نموذج في الشعر)،ط1،طرابلس، منشورات الجامعة المغاربية ، 2007م، ص150.
7. أنظر :علي مصطفى المصراتي : (أحمد الشارف"دراسة وديوان") ، ط3، مصراته ، الدار الليبية للتوزيع والنشر والإعلان،2000م ،ص52.

8. أنظر :محمد الصادق عفيفي: مرجع سابق ، ص191.
9. إبراهيم الطاهر الشريف : مرجع سابق، ص24.
10. أنظر :فوزي البشتي: (ضفاف الذاكرة) ،ط1، طرابلس ،الدار الليبية للتوزيع والنشر والإعلان ، 1985م ، ص376.
11. أنظر :نجم الدين غالب الكيب : (جذور القومية العربية في الشعر العربي الليبي) ، مجلة الفصول الأربعة ، السنة السادسة ، العدد 22، 1983م ، ص60.
12. أنظر :إبراهيم الطاهر الشريف : مرجع سابق، ص26.
13. أنظر :علي مصطفى المصراتي : مرجع سابق، ص11.
14. أنظر :المرجع السابق: ص 11.
15. أنظر :إبراهيم الطاهر الشريف : مرجع سابق، ص26.
16. أنظر :فوزي البشتي: (الحركة الشعرية في ليبيا "ملامح عامة") ،مجلة الفصول الأربعة ، السنة الثامنة، العدد29 ، 1985م، ص31.
17. أنظر :علي مصطفى المصراتي : مرجع سابق ، ص49 .
18. أنظر :المرجع السابق ،ص50.
19. أنظر :المرجع السابق، ص50.
20. أنظر :المرجع السابق، 57.